



الدلالة التاريخية للوحي عند مالك بن نبي من خلال كتابه " الظاهرة القرآنية "

عبد الله بن جبار
جامعة الجزائر 2

تمهيد:

لقد كثر الحديث منذ التسعينيات من القرن الماضي عن المشكلة التاريخية للوحي، خاصة في دائرة الدراسات النقدية للتراث الديني، ومن ثم أطلق على هؤلاء الدارسين لمثل هاته الدراسات بدعاة التاريخية (وهي النخبة العلمانية التي توارى اسمها وراء مسميات العقلانية والتقدمية والعلمية والتثوير والتثوير)، لكننا سوف نلفت القارئ من خلال هذه الدراسة الموجزة أنّ المفكر الجزائري الظاهرة مالك بن نبي (1905-1973) قد سبق وأن تطرق للدلالة التاريخية للوحي بطريقة موضوعية قبل أن يبادر دعاة العلمانية العربية المعاصرة تبني الفكرة وإظهارها من جديد بذريعة دراسة التراث الديني دراسة علمية نقدية، على هذا الأساس سوف نوضح المشكلة

من خلال عرض موقف مالك بن نبي من تاريخية الوحي كما شرحها في كتابه الظاهرة القرآنية.

1-لمحة وجيزة عن الدراسة النقدية المعاصرة للإسلام:

يعتقد دعاة العلمانية العربية المعاصرة أحقيتهم في النقد لأي نص من النصوص، مهما كانت، حيث يتساوى عندهم النص الأدبي الإنساني مع النص الإلهي الديني، بحجة أنّ كل قارئ له وجهة نظر أو قراءة مغايرة لغيره من القراءات، ومن هنا جاءت فكرة مشروعية الاختلاف في القراءة النقدية للنصوص المقدّسة، هذا من ناحية دراسة المنهج.

وهو ما يهتمنا في هاته الدراسة التحليلية، التي نحاول من خلالها تقديم البديل المنهجي ، وتأصيل الأصيل في اختيار المنهج الموضوعي المناسب والملائم لدراسة النصوص الدينية بعقلانية وعلمية وتاريخية مع شخصية مالك بن نبي، حتى يكون شاهدا على الدراسات النقدية المعاصرة (دعاة العلمانية العربية المعاصرة أو دعاة التاريخانية الجدد)، وكذلك ليكون الحل الأمثل لقراءة النص القرآني خاصة خلافا لما هو مطبّق على النصوص الدينية السابقة، عن طريق إظهار خصوصية النص القرآني في بعده التاريخي حتى ولو تغيّر الزمان والمكان، كإشارة منّا فقط لأهمية المنهج في معالجة المشكلة التاريخية للوحي التي نودّ تسليط الضوء على

محتواها لكن من خلال فكر مالك بن نبي، فكيف هو تصوّره للدلالة التاريخية للوحي يا ترى ؟

وفق منظور المفكر الجزائري مالك بن نبي، " فإنّ حياة الأنبياء وتاريخهم يمنعاننا من أن نعدّهم مؤمنين مندفعين دون تعقّل وبكلّ بساطة، إلى الخوارق والمعجزات أو أن نحكم بأنّهم معتوهون بأصل خلقتهم اختلت عقولهم وبصائرهم بنقائص مزمّنة؛ فهم يمثّلون -على العكس- الإنسان في أسمى حالات كماله البدني والخلقي والعقلي وشهاداتهم الاجتماعية تحظى في نظرنا بالثقة التي تستحقّها. وإذن فمن الواجب في المقام الأول أن نلجأ إلى هذه الشهادة لكي نثبت القيمة التاريخية للوقائع التي نخضعها لنقدنا، ثم يبقى علينا أن نحلّل مجموع هذه الوقائع في ضوء العقل المتحرّر من ربة الشكّ المطلق الذي لا هدف له"⁽¹⁾.

أمّا المبرّر بالنسبة إليه، فيتمثّل في قوله: >> في دراسة نقدية للإسلام، لا نستطيع أن نغفل أهمية فحص الوثائق المدوّنة أو التاريخية، التي يمكن أن تلقى ضوء على الظاهرة القرآنية على أنّ هذه المشكلة التاريخية قد حلّت بالنسبة للإسلام بصفة استثنائية: فهو الوحيد من بين جميع الأديان الذي ثبتت مصادره منذ البداية، وعلى الأقلّ فيما يختص بالقرآن>>⁽²⁾. والمقصود من هذه العبارة، أنه في ضوء الدراسات النقدية المطبقة على

النصوص الدينية القديمة، يحاول بعض المفكرين العرب المعاصرين (خاصة النخبة العربية العلمانية) إخضاع النص القرآني لمثل هاته الدراسة، من أجل معرفة مدى تطابقها مع الوقائع التي نشأت منها المشكلة التاريخية، ومع مالك بن نبي يمكننا أن نلاحظ الميزة الاستثنائية للنص القرآني التي ينفرد بها على عكس نصوص العهد القديم (التوراة والإنجيل خاصة). ثم ها هو يقول: >> ولقد امتاز القرآن الكريم بميزة فريدة هي أنه تتقل منذ أربعة عشر قرنا، دون أن يتعرّض لأدنى تحريف أو ريب، وليست هذه حال العهد القديم << (3).

هذا التحديد للنص القرآني على عهد النبي (عليه السلام) نفسه، يعدّ "ظاهرة جديرة بالملاحظة من وجهة علم الاجتماع وعلم النفس بخصوص الوسط العربي في عصر النبوة.

فتلك نقطة جوهرية تستحق البحث والوقوف أمامها، إذ ليست هنا مشكلة تدوين بالنسبة للقرآن، كما هو الأمر بالنسبة للكتاب المقدس؛ وهي أيضا مؤيدة بحقائق التاريخ التي ينبغي أن نلفت إليها انتباه القارئ ليلاحظ هو أيضا توافق واقع التاريخ مع هذه الآية القرآنية: >> وَأَنَا لَهُ لَحَافِظُونَ << (يوسف، 12-13) (*)، ومع ذلك فإنّ لهذا (الحفظ) تاريخه يقول مالك بن نبي: >> فكلّما كان الوحي يتنزّل، كانت آيات القرآن تثبت في ذاكرة

الرّسول وصحابته، وتسجّل فوراً بأيدي أمناء الوحي>>⁽⁴⁾. والوحي في هذه الحالة يمثل التجربة التي ترسّخت بالممارسة في ذهن الرسول وصحابته والناس جميعاً، حيث يستحيل محوها، أو تكذيب الحدث الذي من أجله شرّع الوحي له أحكاماً بالضرورة تتطلب الامتثال لها. ولا نعرف نصوصاً دينية نقلت نقلاً دقيقاً بعد أن شهد عليه الحضور مثل النص القرآني على مرّ العصور ليصل إلينا على ما هو عليه، إلاّ لأنه ثبت في الأذهان ووافقت الوقائع التاريخية (من حيث الرواية الإنسانية)، على ما نلاحظه في الكتب الدينية الأسطورية التي تفتقر إلى أدنى شاهد على وجودها أو حدوثها، لذلك يعدّ النص القرآني كوثيقة هو الوحيد الذي يتمتّع بامتياز الصحة التي لا جدال فيها، لأنّه لم يثر النقد أيّة مشكلة حوله، سواء أكان ذلك شكلاً أم موضوعاً⁽⁵⁾. ونحن نجد فيه شهادة أخرى ليست بأقل أهمية، فقد ترك لنا وثيقة قيّمة في سيرة النبي^(**)، تدافع عن صدق نبوّته يقول عنها مالك بن نبي: >> هذا التفصيل التاريخي الذي ترويه السيرة ببساطة، يثبت لنا إخلاص (محمد المطلق)، ويرينا اقتناعه الشخصي لم يكن قائماً على شبه معجزة، ففي ضوء وثيقة نفسية^(***) كهذه لا يمكن أن نعدّ هذا الاقتناع نتيجة استعداد عقلي غير سليم، واتجاه منحرف لتفسير بعض الأحداث العارضة داخل الذات، أو الخارجية عنها بأنّها آية علوية، إنّ

محمّدا ذو فكر موضوعي، لا يميل إلى تأييد دعوته بغير معجزته الوحيدة(القرآن)>>(6).

إنّ تمييزا كهذا يكون من السّخف الخالص لو لم يكن لدى صاحبه في الوقت ذاته علم تام بالفرق بين القرآن والحديث⁽⁷⁾. لذلك صرّح مالك بن نبي بعبارات في غاية الوضوح على أنّ تصوّرات النخبة العلمانية العربية المعاصرة حول تاريخية الوحي، لا أساس لها من الصحة، بالنظر إلى فعل الدمج أو الخلط بين ما هو وحي منزّل وسنة نبوية شارحة أو قارئ له، والدليل هنا منطقي وواضح هو الواقعة التاريخية التي تميّز بين القرآن والسنة النبوية، فالجميع شاهد على الحادثة التي ترسّخت في الأذهان كما قلنا. فهل في هذه الحالة يصعب التفرقة بين ما هو وحي وما هو سنة؟ هل باستطاعة السنة النبوية تجاوز أحكام الوحي الإلهي كأن تكون لها الأسبقية والقبلية في الحكم والتشريع؟

بطبيعة الحال، إنّ احتمال أسبقية السنة النبوية على الوحي، هي استحالة منطقية أن يقوم النبيّ بشخصه بذلك وعن وعي منه، وفي هذا السياق يقول مالك بن نبي:>> ولقد وضع هذا المغيب المكشوف تحت نظر النبيّ ما يشبه المقياس الذي يتيح له أن يفصل ما هو شخصي بالنسبة له، كأفكاره ومكاشفاته العادية عمّا لا يتّصل بشخصه، فهو صادر

عن الوحي (*) << (8). أي إذا نظرنا إلى حالة النبي الشخصية والفكرية العادية نجد المقياس الذي يفصل به عما هو وحي واضح جدا من خلال مشاركته لغيره في أموره الدنيوية أو الحياتية، وما كان ينبغي له أن يتصرف في نص الوحي في لحظة نزوله من تلقاء نفسه. وهذا مصداقا للآية الكريمة: >> وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ لَا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ^ج قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي ^{صلى} إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ^{صلى} إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ << (الآية 15 من سورة يونس).

وإذا نظرنا إلى حالة النبي من حيث الملامح، وجدنا أنّ الوجه وحده هو الذي يحتقن، بينما يتمتع بحالة عادية، وبحرية عقلية ملحوظة من الوجهة النفسية، ليستخدّم ذاكرته استخداما كاملا خلال الأزمة نفسها على حين يمحي وعي المتشنج وذاكرته خلال الأزمة، فالحالة بناء على هذه الملاحظات ليست حالة مرض كالتشنج. ونضيف أيضا أنّ الأعراض الجسمية التي رويت عن النبي لا تظهر إلاّ اللحظة التي تعتريه فيها الظاهرة القرآنية، وفيها وحدها، أي في اللحظة الخاطفة للوحي (9).

وهناك آيات يسوق القرآن معنى الوحي لحاجة النبي الشخصية، ومن أجل تربيته الخاصة لمعرفة الوقائع التاريخية التي تعتبر بالنسبة إليه غيبا

بحكم البيئة (وثنية) التي عاشها، وذلك مثلا ما يتجلى في الآية التالية: >>
ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُؤْفَكُونَ أَفْلاكَهُمْ أَيُّهُمْ
يَكْفُلُ مَرِيَمَ، وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ<< (10).

فهذه الآية حسب مالك بن نبي، تعطي الوحي معنى كشف المغيب؛
بضمّ التفاصيل المادية لمشهد روحي خالص ويضم أيضا واقعا معينا هو
(إلقاء الأعلام)⁽¹¹⁾. أي أنّ هذه الحادثة كما يراها دعاة التاريخانية
العلمانية مجردة من الوحي، هي واقعة تاريخية فحسب، يؤكدّها من جهة
الواقع؛ وإن لم تكن كذلك فهي أسطورة لا أساس لها من الصحة رغم أنّ
الأجيال توارثت الحادثة، وهي بالتالي تُصنّف في المستوى الثاني من
النصوص الدينية (ذات طابع أسطوري) نسجتها مخيلة الإنسان، وهذا
المستوى لا ينطبق مع طبيعة نصوص الوحي التي توافق الوقائع التاريخية
وترسّخت في أذهان الناس وتناقلتها أجيال إلى أجيال، وهذا الموقف يؤكّده
مالك بن نبي بصورة موضوعية تستبعد الوحي من دائرة الأسطورة
والخرافة، بقوله: >> أننا في الحالة التي لا يكون الوحي فيها منتقلا بطريقة
محسوسة-مسموعة أو مرئية- سنقع في تعريف الوحي تعريفا ذاتيا
محضا، إذ أنّ النبي في التحليل الأخير لا يدري بصفة موضوعية كيف
جاءته المعرفة، وهو يجدها في نفسه مع تيقّنه بأنّها من عند الله، إنّ في

ذلك تناقضا واضحا يخلع على ظاهرة الوحي كلّ خصائص المكاشفة... والتي تتّصل خاصة بإعداد (محمّد) الشخصي لفهم طبيعة الظاهرة القرآنية <<(12). فهذا الإعداد الشخصي للنبيّ يدلّ دلالة قاطعة على أنّ الوحي يقين بأنّه معرفة موحاة وليست مكتسبة للتفريق بين ما تعلّمه النبي من تلقاء نفسه وبنفسه، وبين ما يلقيه الوحي من معارف يستطيع النبيّ من خلالها فهم ما ينبغي له أن يقوم به، والأمثلة عديدة لتصرف الأنبياء السابقين بأوامر الوحي والامتثال لما يلقي إليهم من معارف موحاه، حيث يفرّقون بصفة موضوعية بين ما هو شخصي وما هو أمر إلهي. ويترتّب على هذا أنّ يقين النبيّ في مصدر المعرفة الموحاة لا يجيء مع الوحي نفسه، ولا يؤلّف جزءا من طبيعته، بل إنّ في صورته الكاملة من عمله الشعوري بوصفه رد فعل طبيعي لهذا الشعور إزاء ظاهرة خارجية"(13). وبشكل تفصيلي يقول مالك بن نبي: <> و(محمّد) صادق مع قومه، وهو قبل ذلك صادق مع نفسه، فدراسته الواعية لحالته الغريبة يجب أن تكون نوعا من الدرس الباطني القرآني، لتقضي هذه الدراسة على أيّ شكّ يخالل عينيه، ما دام يمكنه أن يجريها على أساس منهجين مختلفين الأول: ذاتي محض يقتصر على ملاحظته وجود الوحي خارج الإطار الشخصي، والثاني: موضوعي يقوم على الموازنة الواقعية بين الوحي المنزل وما ورد من التفاصيل المحدّدة في كتب اليهود والنصارى مثلا>> (14). وفي هذا

يحدّثه الوحي صراحة: >> فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ، فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ، لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَرَيِّنَ << (15).

وفضلا عن ذلك فإنّ القرآن يثبت تماما في النطاق الزمني هذه النسبة بين المصدرين في قوله تعالى: >> وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابَ وَلَا الْإِيمَانَ << (16).

ويشرح لنا مالك بن نبي، قوله "ما كنت" أي قبل غار حراء، حيث يقول: >> والنّبي في تلك الفترة لم يكن لديه سوى معلوماته الشخصية، وهي معلومات تبدو لنا عديمة الصلة بالوحي القرآني، إذا ما أعطينا الآية المذكورة كلّ معناها التاريخي والآية تثبت عرضا- ولكن بطريقة صريحة- مصدر الوحي القرآني بعد حراء، وهو على كلّ حال ليس قبل (إحياء الروح) المأخوذ من قوله: "أوحينا إليك روحا". هذه النقطة ثابتة تاريخيا، لأنّ الآية التي ندرسها قد مرّت أولا بشعور النبي، وتعرّضت لنقده الذاتي الذي يجيد تماما هذا الفصل الضروري لاقتناعه الخاص << (17). أي بين معلوماته الشخصية قبل تلقّي الوحي ثم فصلها عنه، ليتبيّن له أنّ الحادثة التاريخية لنزول الوحي تمثّل بالنسبة إليه بداية وجهته النفسية الشعورية بصفته نبيّ مرسل ومبلّغ رسالة سماوية.

وهناك آية تؤدّي ما أدته الآية الأولى: <<وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ، وَلَا تَخْطُهُ بِإِمِينِكَ>> (العنكبوت، 48/29). ومن هنا كان تاريخ الوحي القرآني يبدأ إذن (بعد القرآن) وليس (قبله)، وذلك هو ما توحّيه الآية على وجه التحديد. أمّا من الوجهة النفسية المتّصلة بشعور النبي (صلّى الله عليه وسلّم)، فإنّ هذه الآية تعزّز ما قبلها في فصل السنّة المحمّدية عن الوحي القرآني⁽¹⁸⁾. وفي هذه النقطة بالذات يتحجج دعاة التاريخانية في قضية الفصل بين ما هو وحي وما هو سنّة، أي وجوب التفريق بين النص الأصلي (الوحي) وبين النص الثانوي (السنّة)، وعدم الدمج بينهما؛ مخافة الاعتقاد بأنّ بعض ما هو سنّة (الفكرة المحمّدية) هو وحي قرآني، بدليل الآية الكريمة: <<وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى>> (النجم، آية 3-4).

لكن، من الأحاديث المحمّدية، والوحي القرآني يمثلان أسلوبين لكلّ منهما طابعه، وصياغته الخاصة. فالبارة القرآنية لها نسق وجرس تعرفه الأذن، ولها هيئة تركيبية وألفاظ خاصة، فليس من الخطأ أو الغلو في شيء أن يقال: "إنّ الأسلوب القرآني معجز، لا يتسنى لأحد الإتيان بمثله"⁽¹⁹⁾. لذا كان الحكم النهائي في القضية يوجزها مالك بن نبي بقوله: <<فليس لأحد أن يرتاب فيما تحويه هذه الآيات من فصل قاطع

تاريخي ونفسي بين الفكرة المحمدية والوحي القرآني، ذلك الفصل الذي -
متى استقرّ في شعور النبي -أضاء جوانب الظاهرة القرآنية>> (20).

القيمة التربوية للوحي:

نستطيع أن نحكم بأهمية هذا التنجيم الفذ للوحي، حين يتساءل مالك بن
نبي:

- ألم يكن من الممكن أن يتدفق جملة واحدة، من العبقرية الإنسانية التي
ربما يكون قد صدر عنها؟

- بماذا كنّا نفسرّ من الوجهات التاريخية والاجتماعية والأدبية قرآنا يهبط
كأنما هو برق خاطف في ظلمات الجاهلية؟

- وماذا يعني هذا بالنسبة لتاريخ النبي، لو أنه كان قد تلقّى وحياً كلياً
فجائياً، لو أنه تلقّاه بوصفه وثيقة، أي نوعاً من صحف التفويض لدى بني
الإنسان؟

- أيّ أمل كان يمكن أن يلتسمه عنده قبيل بدر مثلاً، لو أنّه بدلاً من أنّه
يتوقّع إمداد الملائكة ظلّ يكرّر آية سبق أن حفظها عن ظهر قلب؟ (21)

وأخيراً، فهل كان لدرسه أن يجد طريقه إلى قلوبهم -يقصد الصحابة
رضوان الله تعالى عنهم- وضمايرهم لو لم يكن نزوله تبعاً لأمثلة الحياة
نفسها، والواقع المحيط بهم؟

سيجيبنا مالك بن نبي قائلا: >>إننا ببحثنا مسألة تجزئة الوحي في ضوء هذه النظرات نستطيع أن ندرك أولاً قيمته التربوية. فتلك في الواقع هي الطريقة التربوية الوحيدة الممكنة في حقبة تتسم بميلاد دين وبزوغ حضارة>> (22).

والقيمة التربوية هنا على ما نعتقد هي المصادقية التي يتحلّى بها الوحي عن طريق الاستئناس بالشواهد التاريخية، كما إنّ الوقائع الظاهرة تجعل من الوحي القرآني دلالة تاريخية تستبعد الأسطورة والخرافة عن النص القرآني المدوّن كوثيقة من جهة، وتزامن تشريع النص القرآني للحياة الاجتماعية بالتدرّج من جهة أخرى، وحتى لا يفهم كذلك أنّ أحكام الوحي القرآني منفصلة أو غير منسجمة مع طبيعة الحياة الإنسانية؛ فمثلاً لو أنّ القرآن كان قد نزل جملة واحدة لتحوّل سريعاً إلى كلمة مقدّسة خامدة وإلى فكرة ميّنة، وإلى مجرّد وثيقة دينية، لا مصدر يبعث الحياة في حضارة وليدة. فالحركة التاريخية والاجتماعية والروحية التي نهض بأعبائها الإسلام لا سرّ لها إلّا في هذا التنجيم" (23).

والقرآن يبرز هذه الخاصة الخفية وهو يخاطب النّبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: >>وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً، كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً << (24). وقوله تعالى: >>وَمَا كَانَ

هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ >> (25).

ثمّ يقول مالك بن نبي: >> ولقد كان حتما على القرآن - إذا ما أراد أن يدخل في اللغة العربية فكرته الدينية، ومفاهيمه التوحيدية - أن يتجاوز الحدود التقليدية للأدب الجاهلي. والحقّ أنّه قد أحدث انقلاباً هائلاً في الأدب العربي بتغييره الأداة الفنية في التعبير، فهو من ناحية قد جعل الجملة المنظمة في موضع البيت الموزون، وجاء من ناحية أخرى بفكرة جديدة، أدخل بها مفاهيم وموضوعات جديدة، لكي يصل العقلية الجاهلية بتيار التوحيد >> (26). وفي هذه العبارة إشارة إلى استبعاد العبقرية العربية أن تكون مؤثرة في نشأة اللغة الدينية عند العرب (كما يعنقد دعاة العلمانية العربية المعاصرة وعلى رأسهم نصر حامد أبو زيد)، بل بالعكس، فإنّ القرآن هو الذي أضاف للعقلية الجاهلية سحر البيان من خلال فكرة التوحيد التي أدخلت مفاهيم وموضوعات جديدة حول مفهوم النبوة، والخلق، والمعجزة، والعقيدة، والإيمان، والحساب، وغير ذلك من المفاهيم التي تعهد بها العرب في الجاهلية، مقابل مفاهيم كانت مبتذلة منها: فن الخطابة والشعر والكهانة والتنجيم مثلاً. وفي حدود هذه المفاهيم خاطبت العرب النبيّ المرسل بهذه المفاهيم، حتى قالت عنه شاعر وكاهن ومجنون

ولم تتعدّها أو تخرج من إطارها العام الذي وُجدت عليه. من هنا نقول بأنّ القرآن جاء بالإضافة اللازمة من حيث الدلالة اللغوية عند العرب.

والقرآن الكريم في كثير من المواضيع يبدو مكملًا أو مصحّحًا معلومات الكتاب المقدّس. وعلى الرغم من أنّه يعلن بكل وضوح هذا التشابه والقراءة إلى الكتب السابقة، فإنّه يحتفظ بصورته الخاصة في كلّ فصل من فصول الفكرة التوحيدية⁽²⁷⁾. "فإذا كان هذا المصدر الأجنبي قد وجد لتعليم النّبّي، فإنّه لن يكون سوى مصدر شفهي، غير مكتوب لكي يكون في متناول أمّي، وربّما كان هناك في هذه الحالة (ملقّن) ما يهمس دائما إليه-دون علمه- بكلّ ما يتّصل بدعوته. وإنّ الطابع الخاطي لافتراض كهذا ليقف في مواجهة واقعين لا يقبلان المناقشة، هما القيمة القرآنية، وقيمة الذات المحمّدية، وهكذا ينتهي بنا الفرض إلى تناقض تاريخي ونفسي، فنحن مضطرون إلى أن نستنتج أنّ وجوه الشبه الملحوظة لا تعزى إلى تأثير يهودي مسيحي ذاع في البيئة الجاهلية، ولا إلى تعلّم شخصي أو لاشعوري لشخص النّبّي"⁽²⁸⁾.

تاريخية الوحي عند مالك بن نبي:

إنّ الدلالة التاريخية للوحي عند مالك بن نبي يوضّحها لنا في قوله: >> وسيتابع الوحي نزوله بسور القرآن سورة سورة، فتتزامم في وعيه الحقائق

التاريخية والكونية والاجتماعية، التي لم يسبق أن سجّلت في صفحة معارفه، بل حتى في معارف عصره، ومناحي اهتمامه. هذه الحقائق ليست مجرد تعميمات غامضة، ولكنّها معلومات محدّدة تضم تفاصيل هامة عن تاريخ الوجدانية. قصّة يوسف المفصّلة، مثلاً، أو التاريخ المفصّل لهجرة بني إسرائيل لا يمكن اعتبارهما مجرد اتفاق عارض، بل يجب حتماً أن يأخذا لدى (محمّد) صلى الله عليه وسلم صفة الوحي العلوية. ولنا أن نتساءل: كيف استطاع أن يدرك الاتفاق العجيب لهذا الوحي مع ما ورد من التفاصيل التاريخية في التوراة؟ <<(29).

وكيف باستطاعة شخص يعيش في بيئة جاهلية معزولة رواية تفاصيل تاريخية لأهم سابقة وبلغة المتحدّي في مواقف عديدة؟

القصة التاريخية كوثيقة دينية:

الأمر كذلك لقصة أصحاب الكهف، فلم تذكر في العهد القديم، ومع ذلك حاجّه اليهود لتقصّي أخبارهم من خلال القرآن الكريم؛ ففي هذه الحالة تكون الحادثة ذات ظاهرة تاريخية بالنسبة لليهود والنصارى لأنّها مفقودة في وثيقتهم التاريخية، بينما يرد ذكرها من طرف الوحي ليثبت به فؤاد النبي (عليه السلام)، كحقيقة دينية تاريخية شاهدة عليهم، وكما يقول مالك بن نبي: >> لقد كان يكفي محمّداً لاقتناعه الشخصي أن يلاحظ أنّ مثل

هذا التفصيل غير المتوقَّع، والذي غاب عن الأعين في طيّات التاريخ ليس بذي طابع شخصي، دون أن يستخدم فعلا أساسا للموازنة، حتى يحكم على الفكرة الموحى بها، ومدى تصديقها لما ورد في التوراة><⁽³⁰⁾. وما دامت القصة التاريخية برهنت على وجودها بمعزل عن تحريف العهد القديم، فقد استقرَّ أمر اليهود والنصارى على وقوعها دون تدوينها في وثيقة، ومع ذلك تمَّ تصديقها دون دمجها كحقيقة دينية تاريخية في كتبهم. فلماذا هنا لم يصدّق النص القرآني كحقيقة دينية تاريخية مدوّنة وتتلّى إلى يوم الدين؟ ولماذا كذلك لا نعتبر العهد القديم مجرد أسطورة نتيجة خلوه من توثيق القصة توثيقا تاريخيا، إذا ما أخذنا بمنطق دعاة التاريخانية ككل؟

إنّ الحجة البالغة عند مالك بن نبي عن التمييز بين ما هو وحي قرآني وسنة نبوية (كرد على الاندماجية بين النصّين لدى دعاة التاريخانية الجدد)، هي أنّ الذات المحمّدية لن تتحدث مع الذات المتكلّمة حين تخاطبها، وهذا الصمت جدير بالملاحظة؛ لأنّه يسجّل إدراك الرّسول(ص) وستظلّ ذاته دائما صامتة في الخطاب القرآني الذي لن يذكر الأحداث الخاصة في تاريخه. فلن نجد أيّ صدى لآلامه وخاصة عندما يفقد أكرم زوجة وأفضل عمّ^(*)، ومع علمنا بما كان لديه من الحنو البنويّ تجاه

هاتين الشخصيتين⁽³¹⁾. واليهود والنصارى يشهد حضورهما في تلك الفترة التاريخية الحاسمة، ويمكن أيضاً ملامح مسبقة عن صدق النبوة الخاتمة، وعلى هذا الشاهد نتساءل: أيّهم من الكتب السماوية أحقّ بالمساءلة عن تاريخية الوحي، حتّى نجرّده أو نفكّكه ثم ندرسه كحقيقة واقعية؟ التوراة أم الإنجيل (بعد تحريفهما) أم القرآن الكريم؟

لا ندري كيف درس دعاة التاريخانية من العرب العلمانيين المشكلة التاريخية للوحي، ولم يلتفت أحدهم إلى ما استنتجه مالك بن نبي من دلائل النبوة والوحي من أفكار هامة وسديدة تغنيهم عن تضبيب الوقت تارة في التشكيك بين ما هو وحي وبين ما هو سنّة نبوية، وتارة أخرى في التفكيك والبت (أو الإسقاط الإيديولوجي) بين ما هو نص تاريخي واقعي وبين ما هو أسطوري يتطلّب استبعاده من حقل الدراسات النقدية للنصوص الدينية مع جهلهم الفاضح في عدم التفريق بين خصائص النص القرآني وغيره من النصوص الدينية القديمة، وهذا غير مقبول.

أمّا الآيات التي تدل على دلائل النبوة، فهي كثيرة مثل قوله عز وجل:

>> قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا>> ⁽³²⁾.

وقوله تعالى: >>أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ
وَادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ
فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ، وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ << (33).

وقوله جلّ شأنه: >>وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِنْ مِثْلِهِ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا
وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ << (34).

مع العلم أنّ هذه الآيات القرآنية نزلت في فترة تاريخية مضت وانقضت،
وتركت الوقائع شاهدة عليها، فلما الحجاج من طرف دعاة التاربخانية
العرب الجدد (باسم أحقية النقد لكل ما هو مدوّن) على إنكار ما حاق
بالذين شكّوا في التنزيل ويجادلون فيه حتى منهم من ادّعى النبوة، وشكّك
في نزاهة الصحابة ونقلهم لمضمون الوحي كما عايشوه مع نبيّهم الكريم؟

نقد وتقييم لمشكلة تاريخية الوحي:

في نظر المفكر طه عبد الرحمان، "يزعم دعاة العقلانية والتنوير العرب
أنّ السلفي في تعلّقه بفترة من تاريخه يبرهن على عدم إدراكه بأنّ موضوع
تعلّقه هذا يمثل مرحلة تقضي الجدلية التاريخية بضرورة مجاوزتها وعليها
نردّ على هذه الدعوى- في نظره- من الوجوه التالية:

أ/- إنَّ المدَّعي هو نفسه واقع فيما يأخذه على غيره، حيث إنَّه يظلّ متعلّقاً بنموذج عقلاني ونظري ذهب الزمان بأسبابه.

ب/- إنَّه يقع في تقدّيس التاريخ بل تأليهه، إذ يتصوَّره كما لو كان سيِّداً عظيماً يقبض على كلّ شيء، ويسير الأكوان كيف يشاء قاهراً لكلّ إرادة تتازعه المسار، وليس ذلك إلّا من صفات الواحد القهار.

ج-إنَّه ينزع عن الأصول الدينية التي يطلب السلفي الرجوع إليها خصوصيتها وشرفها، حيث إنَّ المدَّعي يماثل بينها وبين كلام البشر حتّى يتيسّر له القول بضرورة تجاوزها، بينما نصوص الشريعة هي من عند الله عز وجل، ثابتة لا تتغير ومطلقة لا تتقيّد، وناسخة لا تتسخ، والرجوع إليها ليس أبداً تقهقراً إلى غابر العصور⁽³⁵⁾.

د-إنّ الوصف التاريخي الذي ينسب إلى السلفي أولى به "أهل النظر المجرد"^(*) و "أهل النزعة التاريخية"؛ يوضّحه طه عبد الرحمان في قوله: >> فالأولون يقفون عند حدود البناء المنطقي، ويصرفون صرفاً جانب التكوين التاريخي، بينما المجال الذي يشغل به السلفي، ليس مجال المعاني العقلية المجردة، وإنّما هو مجال التجربة التاريخية التي تتولّد عن العمل الشرعي، والآخرون يجعلون من التاريخ كائنًا ذا سلطان لا يقهر، وذا وجود لا ينقطع ممّا "يشيئ" التاريخ. فليزِم عن هذا المعنى المتداول للتاريخ ذاته عن نفسه وإحلال غيره محلّه >>⁽³⁶⁾. والمقصود هنا بأنّ أهل النزعة التاريخية-العلمانية- كان همّهم الوحيد تأليه العقل حتّى يكون الكلام الإلهي بمنزلة كلام البشر، فتتحقّق فيه التاريخية الغربية الذي يحلّ

محلّ التاريخة الإسلامية وتجاوزها كضرورة لأنها مستمدة من العمل الشرعي.

وقد نجد من أهل النزعة التاريخة العرب المعاصرين، من يطبق ما عجز عنه المستشرقون في تحريك ساكن المقدس التاريخي نحو التغيير المشبوه حيث تجعل من العقل الأداة الفعّالة في فهم النص الديني بشكل وضعي، وقد ردّ عليهم "طه عبد الرحمان"، حين وصفهم بعدة مواصفات تعتقدها عقولهم التي وصلت إلى طريق مسدود، لأنهم أقاموا مسلماتهم على تغيير المطلق بدل البحث في آفات الممارسات العقلانية الإسلامية الفردية والجماعية، ولنا أن نقف عند مشكلة الممارسة العقلانية في التعامل مع النص الديني من منظور العلمانية العربية التاريخية؛ لأنّ المغزى من إظهار تحليل مالك بن نبي لمفهوم الدلالة التاريخية للوحي هو الردّ بالموضوعية المطلوبة على دعاوى التاريخة العربية الجديدة التي لم تكيّف المنهج الوافد مع خصوصية النص القرآني وتباينها الصريح مع خصوصية النصوص الدينية المقدّسة الأخرى، ومن ثمّ نحكم على منهجية تطبيق المنهج لدى النخبة العلمانية العربية المعاصرة بعدم الملاءمة والتناسب وانتهاء صلاحية التطبيق التعميمي على كل نص من النصوص مهما كانت من جهة، وعلى النص القرآني بخصوصيته المنفردة والمميزة من جهة ثانية.

ويبقى لنا أن نشير في الأخير، لنقطة مهمة من خلال هذه الدراسة للدلالة التاريخية للوحي إنها اقتصرت على إثبات الدلالة وفق الممارسة أو التجربة الواقعية للوحي في لحظة النزول وبعده، في حين كنّا نتوسّل في تحليل مالك بن نبي التوسّع في مشكلة تاريخية الوحي في صورته الممتدة أي المستقبلية، بما في ذلك إظهار الإعجاز القرآني لوقائع تاريخية لم تحدث لكنّها تحمل دلالة اليقين بوجودها، لا تقتصر فقط على حيثيات وجود الإنسان وإنّما تشمل وجود الكون ككلّ، وهذا يحتاج منّا تحليل واسع وموسّع لدلالة الوحي في الكون والإنسان من كل النواحي التاريخية منها وغيرها.

كذلك، فإن النقل -وهو الوحي- في المنظور الإسلامي، ليس مقابلاً للعقل والعقلانية، بل إنه ثمرة للعقلانية. فحجية النقل مترتبة على حجية الرسول الذي بلغه.. وحجية الرسول المبلّغ مترتبة على الإيمان بالله الذي أرسل الرسول بالوحي المنقول.. وسبيل هذا الإيمان هو النظر العقلي في كتاب الكون المصنوع على نحو لا نهائي من الإبداع والإحكام في الصنعة والتقدير والرعاية والتدبير.. فكأنما كان التصديق بهذا النقل -كتاب الوحي- هو ثمرة عقلية للنظر في كتاب الكون -استدلالاً بالمصنوع البديع على الصانع المبدع " الأمر الذي جعل ويجعل التزاماً حتماً والاشتراك ضرورة بين " كتاب الوحي " و " كتاب الكون " وبين العقل،

كأداة للنظر فيهما معا، متعاوننا في ذلك ومستعينا بكل أدوات النظر الأخرى...فليس هناك تقابل بين العقل والنقل⁽³⁷⁾.

وعموما لا يخفى أنّ العرب كانوا أول من دعا إلى الإسلام، وأنّ بعضهم على الأقل كان يعتبره دينا عربيا صرفا، إلّا أنّ هذا الحديث: "ما من نبيّ إلّا أرسل لقومه، وأنا أرسلت للناس جميعا"، صحيحا كان أم منحولا، إنّما يعبر عن النظرة التي توصّل المسلمون، مع الزمن، إلى أنّ تكوينها حول دينهم، فقد أرسل الأنبياء السابقون، في بادئ الأمر، كلّ إلى أمة معينة لإنذارها وهدايتها، فكانت تتقبل الرسالة ثم تتنكر لها، أو تسيء فهمها، لا بل تعبت بنصوصها، لذلك نشأت الحاجة إلى تكرار الوحي، أمّا الوحي الأخير، الوحي النازل على محمد، فإنه يتميز عما قبله من وجهين: فهو رسالة إلى أجمع، كما أنه يحمل في طياته ضمانا صدق تلك الرسالة وأمانة نقلها⁽³⁸⁾.

ومهما يكن من أمر ثبوته، عما استقر عليه رأي المسلمين، فالوحي المحمدي يعتبر نفسه حقيقة أزلية جاءت لتحل محل كل وحي سابق، لذلك كانت الأمة الإسلامية، إمكانيا، أمة عالمية، وبما أنها عالمية⁽³⁹⁾.

الهوامش:

(1) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تقديم/ عبد الصبور شاهين، دار الفكر إعادة ط4، 1987، دمشق، سوريا. ص88.

(2) المرجع نفسه، ص103.

(3) المرجع نفسه، ص103.

(*) وفي الآية 09 من سورة الحجر يقول الله تعالى: >> إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ <<.

(4) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص104 .

(5) المرجع نفسه، ص106.

(**) وردت في الخطبة التي قالها أبو طالب عم النبي في خطبة ابن أخيه حسب عادة قريش، قال: "أما بعد: فَإِنَّ مُحَمَّدًا مِمَّنْ لَا يَوَازِنُ بِهِ قَتَى مِنْ قَرِيشٍ إِلَّا رَجَحَ بِهِ شَرْفًا وَنَبْلًا وَفَضْلًا وَعَقْلًا، وَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قَلًا، فَإِنَّمَا الْمَالُ ظِلٌّ زَائِلٌ وَعَارِيَةٌ مُسْتَرْجَعَةٌ، وَلَهُ فِي خَدِيجَةٍ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَغْبَةٌ، وَلَهَا فِيهِ مِثْلُ ذَلِكَ. هَذِهِ السُّطُورُ تَصَلُّنَا جَيِّدًا بِصُورَةِ الْأَمِينِ؛ وَتَتَّفَقُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ مَعَ الصُّورَةِ التَّارِيخِيَّةِ لِطَبَلِ أَعْظَمِ مَلْحَمَةٍ فِي التَّارِيخِ الدِّينِيِّ. (راجع: مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية 115).

(***) يعرف الشيخ رشيد رضا الوحي النفسي بأنه "الإلهام الفائض من استعداد النفس العالية"، ثم قال: >وقد أثبتته بعض علماء الإفرنج لنبيينا صلى الله عليه وسلم كغيره فقالوا: إِنَّ مُحَمَّدًا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ كَاذِبًا فِيمَا دَعَا إِلَيْهِ مِنَ الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَالشَّرْعِ الْعَادِلِ، وَالْأَدَبِ السَّامِيِّ؛ وَصُورِهِ مِنْ لَا يُؤْمِنُونَ بِعَالَمِ الْغَيْبِ مِنْهُمْ أَوْ بِاتِّصَالِ عَالَمِ الشَّهَادَةِ بِأَنَّ مَعْلُومَاتِهِ وَأَفْكَارَهُ وَأَمَالَهُ وَلَدَتْ لَهُ إِلَهَامًا فَاضَ مِنْ عَقْلِهِ الْبَاطِنِ أَوْ نَفْسِهِ الْخَفِيَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ عَلَى مَخِيلَتِهِ السَّامِيَّةِ (وانعكس

اعتقاده على بصره فرأى الملك ماثلاً له، وعلى سماعه فوعى ما حدثه الملك به)، وفي كلا الرأيين جزء يتفق مع تعريف المؤلف للوحي النفسي. ثم يدعو: <<يجب أن يأخذ الوحي معنى: "المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لا يشغل التفكير وغير قابل للتفكير" لكي يكون متفقاً مع اعتقاد النبي، ومع التعاليم القرآنية. فمن المفيد إذن أن ندرك نوع الظاهرة التي يمكن أن تكمن خلف لفظة (وحي). ونضيف أن المكاشفة لا تصحبها أية ظاهرة نفسية بصرية أو سمعية أو عصبية كتقلص العضلات الذي نلاحظه في حالة النبي صلى الله عليه وسلم>> (راجع: الظاهرة القرآنية ص 143-144).

(6) مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 140، بتصرف.

(7) المرجع السابق، ص 145.

(*) لقد بحث العلماء المسلمون هذه المشكلة في مختلف أشكالها، وعالجها الشيخ (محمد عبده) في رسالة التوحيد، في هذه العبارات، قال بعد تعريف الوحي لغة: "وقد عرّفوه شرعاً أنّه إعلام الله تعالى لنبيّ من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه. أما نحن فنعرّفه على شرطنا بأنّه عرفان يجده الشخص في نفسه، مع اليقين بأنّه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتملّل لسمعه أو بغير صوت، ويفرق بينه وبين الإلهام، بأنّ الإلهام وجدان تستيقنه النفس، وتناسق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور.

وجاء في حديث عن عائشة (رضي الله عنها) أنّ الحارث بن هشام (رضي الله عنه) سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتملّل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول". قالت عائشة (رضي الله عنها): "ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتصدّ عرقاً". (رواه البخاري، ج 1، كتاب (كيف كان بدء الوحي).

- (8) المرجع السابق، ص146.
- (9) المرجع السابق، ص154.
- (10) سورة آل عمران آية 44.
- (11) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص641.
- (12) المرجع نفسه، ص146. بتصرف.
- (13) المرجع نفسه، ص147.
- (14) المرجع نفسه، ص158.
- (15) سورة يونس آية 94.
- (16) سورة الشورى آية 52.
- (17) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص170.
- (18) المرجع نفسه، ص170.
- (19) المرجع نفسه، ص172.
- (20) المرجع نفسه، ص172.
- (21) المرجع نفسه، ص180.
- (22) المرجع نفسه، ص180.
- (23) المرجع نفسه، ص181.
- (24) سورة الفرقان، 32/25.
- (25) سورة يونس، 37/10.

- (26) المرجع نفسه، ص 192.
- (27) المرجع نفسه، ص 199.
- (28) المرجع نفسه، ص 261.
- (29) المرجع نفسه، ص 157.
- (30) المرجع نفسه، ص 158.
- (31) المرجع نفسه، ص 163.
- (32) سورة الإسراء 88/17.
- (33) سورة هود آية (13-14).
- (34) سورة البقرة، آية (23-24).
- (35) طه عبد الرحمن العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، ط2، 1997، بيروت-الدار البيضاء، ص 71.
- (*) يتبين من هذا أنّ العقل المسدّد هو العقل المجرد وقد دخله العمل الشرعي، أي رفع عنه لا استقلاله كما قيل، وإنّما استقالته لأنه كان تاركا لأمر الله ونهيه، وأورده ينابيع الشرع، ولما دخله العمل، خرج من أوصاف التجريد النظري.
- ولقد جرى الاصطلاح على العقل المسدّد عند الفقهاء والأصوليين بلفظ "العقل غير المستقل" أو "العقل المقيد"، وقد اخترنا من جانبنا أن نسميه بـ "المسدّد" بدل "المقيد" احترازاً من الدلالة السلبية، بل الدلالة المذمومة التي طرأت على استعمال لفظ "المقيد" والتي تفيد المحدودية الدالة على ضيق الأفق والتبعية والانفتاح، بينما التبعية للشرع هي أقوم للعقل من استقلاله عنه لأن المقصود ليس التقييد بالشرع من أجل التقييد، وإنّما من أجل أن يصير العقل قادراً على إدراك مصالحه الدنيوية والأخروية. ويظهر تعريف علماء المسلمين الشهير للعقل

بوصفه العلم بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، يقول ابن الأزرق في كتابه: بدائع السلوك في طبائع الملك: "من الفطن في العقل معرفة كماله الشرعي وهو متوقّف على تصوّره في نفسه، فعلى أنّه علوم ضرورية بجواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات، فهي علوم شرعية يظهر على وفقها آثار فعلية وقولية وعلى أنّه بصيرة في القلب تدرك بها العلوم الشرعية، ويظهر على وفقها آثار فعلية قولية". (نقلا عن: طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، ص (53-72)، بتصرف).

(36) مرجع سبق ذكره، ص 71.

(37) محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، ص 13.

(38) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، ص 13.

(39) المرجع نفسه، ص 13.